الصفحة الثقافية في الصحف العراقية
١٩٨٠ــ١٩٨٨
ملاحظات واستنتاجات

د. نبيل باقر الموسوي
كلية التربية ــ قسم التاريخ
جامعة الموصل

المقدمة

ترتبط دراسة «الصفحة الثقافية» من ناحية بمعرفة السياسة الثقافية ، ذلك لان هذه المعرفة تتعلق بهدف البحث . ومن ناحية اخرى ، نظراً للدور المهم الذي ينهض به التخطيط في السياسة العامة للدولة في مجتمعات الدول الحديثة فان تحديد مفهوم السياسة الثقافية يبدأ بوضعه في المكان المخصص له مع السياسات الاخرى في وظيفة الدولة التي تشكل في مجموعها الصورة الكلية لتلك السياسة . وفي هذا الاطار يأخذ مفهوم السياسة الثقافية معناه واهميته . ان الثقافة في معناها العام عامل اساس في تحديد واظهار هوية المجتمع من خلال العلاقات المتعددة والمتنوعة والمتفاعلة بينه وبين انتاجه الثقافي . ولما كانت متطلبات التنمية عموماً تعتمد في امكانية تحقيقها على مدى وعي الفرد لدوره في ذلك ، لهذا اقتضى الامر ، في دول العالم الثالث خاصة ، وضع سياسة تفصيلية لتوجيه الثقافة كي تسهم في بلوغ الاهداف المعلنة (١).

(١) في ١٩٧٥ وفي اطار برنامج اليونسكو ، اجتمع اول مؤتمر في امريكا تينية يبين ممثلي الحكومات حول السياسات الاتصالية . يشير هذا المؤتمر الى بدايات الاهتمام ، على المستوى الدولي ، بتخطيط الاتصالات . حالياً اغلب الدول لها سياستها الاتصالية لان اي دولة لا تستطيع الاستغناء عنها لا سيما وانها تشكل الاساس المادي للسياسات الثقافية والاعلامية . انظر :

SOMMERLAD (E. Lioyd), Systeme nationaux de Communication, question de politiques et options, paris, Unesco, 1975, serie etudes et documents d'information, no77, p.5.

وفي حدود هذه المحاولة سيقتصر عرض الموضوع من خلال اثر السياسة الثقافية في الصحف العراقية في انتاج «الصفحة الثقافية» التي تنشر عادة الموضوعات الادبية والفنية . لقد اخذت هذه الصفحة باعتبارها احد الابواب الثابتة في الصحيفة ، نموذجاً للدراسة لمعرفة مدى التزام هذه الصفحة بالقيم المعيارية الخاصة بالسياسة الثقافية في تداخلها مع السياسة الاعلامية (*) .

ولهذا فلن يتطرق البحث إلى دراسة موضوعين مهمين على الرغم من انهما يشكلان ابعاداً اخرى للموضوع : الاول يخص اثر هذه الصفحة في القراء ، والثاني يتعلق بتحليل مضمونها . وذلك لان البحث يهدف إلى معرفة مسألة ذات وجهين : الوجه الاول مدى التزام الصفحة بتلك السياسة خلال سنوات الحرب العراقية — الايرانية ١٩٨٠ — ١٩٨٨ ، ولا سيما ان اولوية الثقافة الاعلامية كانت منصبة على التعبئة الجماهيرية لمواجهة ظروف الحرب ومتطلباتها المعنوية . والوجه الثاني تأشير الاطر العامة لمضمونها حتى اذا احتوت على مواضيع لاتمت بصلة مباشرة إلى ظروف الحرب . سنبحث هذه المسألة من خلال محورين : يتعلق الاول بمنطلقات السياسة الثقافية الاعلامية والثاني سيعرض ويحلل طبيعة «الصفحة الثقافية» ومدى اسهامها في التعبئة الجماهيرية بصورة مباشرة او غير مباشرة .

اخيراً نود الاشارة إلى ان طبيعة الموضوع اقتضت اعتماد المنهج الوصفي التحليلي لتحقيق اغراض البحث في حدود اطاره التاريخي . والذي سيركز على جانب واحد لايتعدى «الصفحة الثقافية» باعتبارها موضوعاً اضافياً ومكملا للمواضيع الاخرى التي تناولت الجوانب الاعلامية في السياسة الثقافية في

(*) سنستخدم مصطلح السياسة الثقافية الاعلامية للتدليل على هذا التداخل . وهذا المفهوم سيتوضح عند دراسة طبيعة «الصفحة الثقافية» . لكن نكتفي هنا بالاشارة الى ان هنالك تداخلا بين الاعلام والثقافة ، لان مضمون الاعلام يتشكل من عناصر مختلفة تستمد مفاهيمها من الثقافة بمعناها الواسع . على سبيل المثال (الاخبار) المختلفة ، والتي تمثل احدى الوظائف الاساس للاعلام ، هي بحد ذاتها شكلا ومضموناً مفاهيم ثقافية باعتبارها جزءاً أو أجزاء من النظام الثقافي الكلي .

العراق (*) .

١ـ منطلقات السياسة الثقافية الاعلامية

يعتمد تكوين السياسة الثقافية الاعلامية في العراق على اساسين : الاول يستمد مقوماته من مبادىء حزب البعث العربي الاشتراكي والقوانين الاساس في الدولة وفكر السيد الرئيس القائد صدام حسين (حفظه الله ورعاه) . اما الاساس الثاني فيستمد عناصره من الوسائل المادية الضرورية لتنفيذ الاهداف المطلوبة . وفيما يأتي سنعرض تباعاً وبايجاز هذين الاساسين .

أ. الاسس الفكرية :

في ظل السياسة الثقافية الاعلامية في العراق يمكن الرجوع إلى ثلاثة اصول في الاقل لتكوين فكرة عن هذه الاسس : الاول دستور حزب البعث العربي الاشتراكي ودستور جمهورية العراق ، اما الثاني فهو البيانات الصادرة عن مؤتمرات الحزب القطرية ، واخيراً فكر السيد الرئيس القائد الذي سيعد اساساً في هذا المجال باعتباره العنصر الحي الذي يستلهم الفكر مما يستجد في الممارسة.

لدراسة الاسس الآنفة الذكر علينا ان نوضح اولاً بعض السمات الخاصة بكل اصل منها . ثم على ضوء ذلك سنستخلص القيم المعيارية (٢) من تلك الاصول باعتبارها مراجع او ادلة لقياس درجة التزام انتاج ((الصفحة الثقافية)) بأهداف السياسة الثقافية الاعلامية .

(*) ان الادبيات المتعلقة بالمواضيع الثقافية والاعلامية (كتب-مقالات-بحوث) كثيرة وافضلها معروف للمهتمين بذلك . لهذا لم نثقل البحث بقائمة تشير اليها الا بقدر مالها علاقة ماسة بسياق البحث وتعضيده . كذلك لم نعتمد على نماذج مستقاة من كافة الصحف خلال الفترة المعنية بل اكتفينا ببعض النماذج لتحقيق هدف البحث ، علماً بأن الملاحظات والاستنتاجات التي يتضمنها البحث تعتمد على خطوط عامة استخلصت من مطالعة الصحف العراقية خلال الفترة المعنية .

(٢) في اتصاف القيمة بأنها معيارية انظر : رويه (ريمون) ، فلسفة القيم ، ترجمة عادل العوا ، دمشق ، مطبعة جامعة دمشق ، ١٩٦٠ ، ص٧١ وما يأتي بعدها ، كذلك في موضوع تصنيف القيم : ص١٢٧ وما يأتي بعدها .

يعتبر دستور الحزب تأريخياً اول الاصول (١٩٤٧م). ودون شك عكس الدستور عند وضعه واقع المجتمع العربي المتخلف لكي يرسم الطرق الكفيلة لتجاوزه ومن ناحية أخرى كشفت مواده في آن واحد روح القيم العربية والاسلامية وروح القيم الحديثة ومتطلباتها . واخيراً اكد مجموعة من المبادىء الاساس والعامة التي اعدها ثابتة لن تتغير ، (٣) أما دستور جمهورية العراق وتعديلاته (١٩٧٠م) فانه من حيث الجوهر يرجع الى المبادىء الاساس والعامة الواردة في دستور الحزب وان كان ذلك بصيغ اخرى . اذ يمكن القول بأن هدفيهما واحد بالنسبة الى الثقافة باعتبارها حقاً اساساً للمواطن يجب ان توفره الدولة فيما لو اريد للمجتمع العربي أن يتغلب على تخلفه . ومن جانب آخر يمكن اعتبار دستور الجمهورية قد تم اعداده بعد تسلم حزب البعث العربي الأشتراكي للسلطة ، الامر الذي يعني ان اهداف الحزب يمكن تحقيقها فعلياً . واخيراً اعطى الدستور اسس النظام السياسي والاقتصادي ، وبهذا حدد الاطار الذي ستتحدد فيه الاهداف المبتغاة .

فيما يتعلق بالاصل الثاني الخاص بالبيانات الصادرة عن مؤتمرات الحزب القطرية (٤) فأننا نلاحظ بأنها تنعقد بين فترة وأخرى اذ تتم مراجعة نضال الحزب على المستويات كافة مراجعة نقدية دقيقة وصارمة للتوصل الى سياسة عامة تلائم ما استجد من تغيرات على الساحة العربية او الاقليمية او الدولية . وهذا يعني استدراك السلبيات وتأشير الايجابيات واخيراً الغاءاً وتعديلاً واضافة شمولية للتكتيك والاستراتيجية العامة للمرحلة القادمة . بناءاً على ذلك يمكن القول بأن هذه المؤتمرات ترفد دائماً عناصر جديدة فيما يخص السياسة الثقافية الاعلامية في مجال القيم المعيارية .

(٣) لم نقرأ في مادة منفصلة في دستور الحزب مايشير الى ان المبادىء الاساس والعامة غير قابلة للتعديل ، في حين يمكن تعديل المواد الاخرى .

(٤) انظر فيما يتعلق بالثقافة والاعلام ماجاء في : بيان المؤتمر القطري السابع المنعقد في بغداد (٢٤/١١/١٩٦٨) ، كذلك التقرير السياسي الصادر عن المؤتمر القطري الثامن المنعقد في بغداد (كانون الثاني ١٩٧٤) ، واخيراً بيان المؤتمر القطري التاسع المنعقد في بغداد (حزيران ١٩٨٢) .

واخيراً نصل الى الاصل الثالث المتعلق بفكر السيد الرئيس القائد . وفي هذا الموضوع كتب كثير من الدراسات التي تتفاوت في اهميتها ومستواها المنهجي لكن الذي يهمنا هنا قبل كل شيء هو تأشير الاهمية البالغة التي اعطاها هذا الفكر للثقافة بشكل عام والثقافة الاعلامية بشكل خاص في فترة الحرب ، ولا سيما ان ذلك كان من موقع السيد رئيس الجمهورية ورئيس مجلس قيادة الثورة ونائب الامين العام لحزب البعث العربي الاشتراكي (٥) .

وفضلاً عن ذلك يلاحظ بأنه «...ما من معركة فكرية واقتصادية او سياسية او اعلامية ، او اجتماعية خاضها العراق الجديد الا وكان صدام حسين مخططها البارع ومنفذها الجسور» (٦) . ويبدو من متابعة هذا الفكر أن الاهتمام ازداد طردياً مع ازدياد زخم الحرب بحيث اصبحت السياسة الثقافية الاعلامية في سنوات الحرب الاخيرة توجه عموماً من مكتب الثقافة والاعلام وباشراف السيد الرئيس القائد مباشرة (٧) . لقد اقتضت ظروف الحرب وطول مدتها هذا التعجيل غير المألوف في مركزية الثقافة والاعلام . ان هذا التداخل في الاختصاصات ، اذا جاز لنا التعبير ، عكس تجربة جديدة حيث يعتبر فيها فكر السيد الرئيس القائد، الذي يمثل حركة ديناميكية مستمرة من الفكر الى الممارسة ، افضل دليل او قيمة معيارية لتوجيه السياسة الثقافية الاعلامية نحو خدمة الأهداف المعلنة لانه يستمد حيويته من الحياة المعاشة المتبدلة في استمرار لايعرف الاستقرار .

---

(٥) الراوي (د. خالد حبيب) ، «المنطلقات الاعلامية في فكر الرئيس القائد صدام حسين» ، آفاق عربية ، عدد (٤) ، نيسان ١٩٨٦ ، ص ص ٣٠-٣٢ .

(٦) «الثورة العربية ، «القائد والامة» ، الثورة العربية ، العدد (١٠) ، ١٩٨٩ ، بغداد ، دار الحرية للطباعة ، ص٣٥ .

(٧) البياتي (د. ياس خضير) ، «صدام حسين واستراتيجية الاعلام العراقي في القادسية» آفاق عربية ، عدد (٤) ، ١٩٩٣ ، ص٧٥ ، وانظر ايضاً : البيدي (د. جبار) و كاظم (د. فلاح) ، وسائل الاتصال الجماهيري ، الموصل ، مطبعة التعليم العالي ، ١٩٨٩ ، ص ٢٩١ ، كذلك : الراوي ، المصدر السابق ، ص٣٠ .

بعد ان ذكرنا بعض السمات المتعلقة بكل اصل نعود لقراءة القيم المعيارية المستخلصة منها. والمقصود هنا بالقيم : مجموعة من الاشارات والرموز التي بواسطتها يظهر نظام عام من التوجيهات والسلوك. بهذا المعنى يمكن للقيم ان تخدم كملاجم وارشاد وتصريف النشاطات المنظمة لاعضاء المجتمع (٨). ولكي نبسط الامر فرزنا هذه القيم الى صنفين حسب اربعة محاور اساس كما هو مرسوم في لوحة القيم المعيارية في ادناه . ان هذه المعايير بطبيعتها رقابية ولتحقيق هدفها تستطيع استخدام ثلاث وسائل ملزمة في الاقل : القانون والرقابة والحزبية ، والوجدان الجمعي (٩) . ومن الجدير بالذكر أن هذه المعايير يمكن ان تشمل مواضيع مشتركة مثل(ابراز شخصية الامة)التي لا يوجد اي مانع من ادراجها في اي محور آخر غير المحور الاول بسبب شمولية مفهومها. كذلك كقيم معيارية ، قد تكشف عن نفسها احياناً باعتبارها وسائل واحياناً اخرى اهدافاً او الاثنتين معاً. وهذا الامر نابع من طبيعة الموقف الذي يتخذ منها في الزمان والمكان .

مما تقدم نستنتج ان مدى صلاحية نص من النصوص للنشر في ((الصحف الثقافية)) تعتمد على مطابقته للمعايير الاساس عامة . لكن لكي يتحقق الهدف على افضل صورة يجب على ذلك النص في الدرجة الثانية ان يتطابق ايضاً مع المعايير الثانوية . مثال ذلك نص ادبي لموضوع مستوف لمعيار اساس (ابراز شخصية الامة العربية) لكنه غير مستوف من الناحية السياسية لمعيار ثانوي (ضد العدو الفارسي) يمكن ان يظهر عدم توازن في تحقيق احد جوانب الثقافة

(8) MAKAGIANSAR (Makaminan), "Preservation et epanouissement des valeurs culturelles", Cultures, vol. VI, no 1, 1979, Paris, Unesco, p.11

(٩) حول موضوع الرقابة انظر : كوفيليه (ارمان) ، مدخل الى علم الاجتماع ترجمة نبيه صقر ، بيروت ، منشورات عويدات ، سلسلة المكتبة الفلسفية رقم (٤) ، ١٩٦٠ ، ص‌ص ١٢٤ ، ١٢٦ ، كذلك فيما يتعلق بالوجدان الجمعي ، ص‌ص ١٣١ ، ١٣٣ ، ١٣٤ .

لوحة القيم المعيارية (*)

محاور التطبيق	:	اساسية عامة ثانوية خاصة
قيم معيارية (السياسة العامة للدولة)	:	(الثقافة الاعلامية)
ابراز شخصية الامة العربية ورسالتها.	:	التوعية والتثقيف .
الناحية تعميم المعطيات التقدمية	:	الصدق والصراحة في نقل الحقائق
الفكرية للحضارة الانسانية .	:	نشر الثقافة القومية والانسانية .
تعميم التعليم والتفكير العلمي.	:	محو الامية .
الالتزام بقواعد واصول العمل الصحفي		
الناحية تحقيق الوحدة العربية	:	اسناد النظام السياسي : نشر
السياسية الجمهورية (الشعب مصدر السلطات)	:	مبادىء الحزب ضد الامبريالية
الديمقراطية (الحرية ــ المساواة	:	والصهيونية والعدو الفارسي (الثقافة
العدالة ــ الكرامة الوطنية والقومية) ــ:		والاعلام المضاد في السلم والحرب).
الموازنة بين الحقوق والواجبات	:	نشر خبرات التجارب الثورية في العالم .
الناحية الانسان قيمة عليا .	:	خلق جيل قومي متحرر .
الاجتماعية تجسيد انسانية الفرد	:	دعم الوحدة الوطنية .
اطلاق قدراته الخلاقة	:	ابراز نماذج عربية ايجابية
التضحية والاستشهاد	:	(تاريخية) .
حس المسؤولية: النزاهة ــ الصبر	:	محاربة التجزئة داخل الفرد ذاته.
احترام الزمن ــ الحياة الكريمة المتفائلة	:	الاعتزاز بالوطن والتراث الثقافي
الناحية (ضرورة ــ حاجة) . نشر	:	مفاهيم الاشتراكية العربية .
الاقتصادية متلاك الثروة الوطنية والقومية	:	اسناد برامج التنمية القطرية .
تجاوز الواقع المادي المتخلف .	:	المساهمة في تنمية امكانات
قدسية العمل المنتج .	:	الشعب العربي .
تعميم نموذج العمل الجماعي	:	توفير الوسائل المادية للفرد ــ المواطن .

(*) هذه اللوحة مستخرجة من الاصول الثلاثة المذكورة سابقاً . وهي بمثابة مبسط للعلاقة بين المحاور والقيم المعيارية . القيم المذكورة في اللوحة هي على سبيل المثال لا الحصر .

الاعلامية في زمن الحرب العراقية–الايرانية : التعبئة الجماهيرية ضد العدوان الفارسي على العراق والامة العربية . ان ابراز شخصية الامة العربية يجب ان يوظف في اظهار حقيقة تاريخية تشير الى ان العداء الفارسي للامة له بعد تاريخي قديم ، ولاسباب عديدة تحين الفرس عبر التاريخ أية فرصة ممكنة لاضعاف الامة وشخصيتها القومية (*) .

نكتفي بهذا القدر من قراءة لوحة القيم المعيارية تاركين للقارىء مطالعتها ليستشف منها الخطوط العامة للسياسة الثقافية الأعلامية التي يتوجب على وسائل الاتصال الجماهيري كافة الالتزام بها بأي حال من الأحوال . وانطلاقاً من هذا فأن انتاج الصفحة الثقافية في الصحف يجب ان يخضع لتلك المعايير المذكورة في لوحة القيم المعيارية .لكن قبل دراسة طبيعة هذه الصفحة يجب علينا القاء نظرة على الاساس الثاني لمنطلقات السياسة الثقافية الاعلامية ونعني بذلك الاسس المادية .

ب . الاسس المادية: نظراً للارتباط العضوي بين المؤسسات الثقافية والاعلامية وبين الجمهور باعتبارهم متلقين لانتاجاتها هيأت الدولة المستلزمات الاساس كافة كيما يتم التفاعل المطلوب . ولكي تحقق ذلك سعت الى توفير العامل الموضوعي والذاتي . لقد تجلى ذلك في السياسة الثقافية الاعلامية التي التزمتها الدولة . وهذا يعني التخطيط لتوفير متطلبات التنفيذ والعمل : المالية– الادارة – التكنولوجيا – الكوادر المتخصصة – الصناعات الثقافية ، هذا من ناحية . (١٠) ومن ناحية اخرى اعداد الجمهور الواسع لاستقبال الانتاج

(*) يمكن العثور على العديد من الامثلة في الصحف العراقية التي تؤيد افتراضنا .انظر على سبيل المثال مانشر في الصحف عن ندوة النشر المشترك التي انعقدت في بغداد بدعوة من دار الشؤون الثقافية العامة في ٨ أيلول ١٩٨٦.كذلك مانشر في جريدة الثورة بمناسبة البيعة في ١٩٨٧/١١/١٤ ... الخ .

(10)LEE (John A.R), Vers des politiques realisted de la Communication expose et analyse de tendances et de conceptions recentes paris Unesco, 1976, etudes et documents d'information, No 76, p. 45 et Seq. SOMMERLAD. op. cit., P. 11.

انظر ايضاً : انظر كذلك :العبيدي ، وسائل الاتصال ...، المصدر السابق، ص ٢٤٧

المعني: توسيع وتعميم التعليم وحملات محو الامية ، وتوفير وسائل الاستقبال الجماهيري (الصحف والراديو والتلفزيون) أو تسهيل امر اقتنائها (١١) .

في الحقيقة ، استطاعت الدولة خلال السبعينات من اعداد واتمام ذلك الاساس المادي في متطلباته الضرورية على المستويات كافة (١٢) . فالثقافة والاعلام في مطلع الثمانينات إذاً كانا يمتلكان أهم منطلقاتهما المادية . وهذه الامكانية ستيسر لهما تحقيق الأهداف العامة والخاصة في ظروف الحرب التي ابتدأت في ٤ أيلول ١٩٨٠ . ومن الجدير بالذكر ان العراق استطاع خلال سنوات الحرب ، برغم ثقل المسؤولية ، ان يوفق بين مهامه العسكرية وخططه التنموية في آن واحد وبموازنة اعطت المهتمين حقهما كاملاً (١٣) . وفي حدود البحث سنتطرق على التوالي إلى المؤسسات الثقافية والاعلامية ، ثم سنعرض بعض ملامح الميزانية الخاصة بوزارة الثقافة والاعلام . كذلك سنتعرف على بعض امكانات الصناعة الثقافية ، وأخيراً سنأخذ فكرة عن الجمهور المستقبل .

يمكن القول اجمالاً بأن المؤسسات الثقافية والاعلامية ترتبط بمجلس قيادة الثورة باعتباره مرجعاً أعلى سواء عن طريق أجهزة الدولة أو أجهزة الحزب . ان هذا الارتباط قد اختلف حسب الضرورات المستجدة خلال الثماني سنوات ، فكان احياناً مباشراً وأحياناً أخرى غير مباشر . وقد انعكس ذلك على الارتباط الخاص في داخل كل مؤسسة وبين المؤسسات عامة . كما يمكن الملاحظة بان الوزارات كافة لها مؤسساتها الثقافية والاعلامية المتخصصة بطبيعة عملها . مع كل ذلك هناك مؤسسة أساس في هذا المضمار هي وزارة

(١١) الراوي المصدر السابق ، ص٣٥ .

(١٢) التقرير المركزي للمؤتمر القطري التاسع ، حزيران ١٩٨٢ ، بغداد ، دار الحرية للطباعة ، ١٩٨٣ ، ص١٥٦ وما يأتي بعدها .

(١٣) الثورة العربية ، «مرحلة مابعد الحرب ، رؤية في الجانب السياسي للمرحلة» ، الثورة العربية ، العدد (٦) ، ١٩٨٩ ، بغداد ، دار الحرية للطباعة ، ص٦٠ .

الثقافة والاعلام . وبصورة غير مباشرة هنالك أيضاً وزارة التربية التي تعد النشيء والملاكات ووزارة التعليم العالي والبحث العلمي التي توفر الثقافة الاكاديمية واعداد الملاكات المتخصصة والفنيين . لكن الذي يهمنا هنا وزارة الثقافة والاعلام بحكم طبيعة عملها ونشاطها المتعلق بوسائل الثقافة الاعلامية .

ان المؤسسات الثقافية والاعلامية في الوزارة يمكن تقسيمها إلى قطاعين : الاول ، القطاع العام الذي ترتبط اجهزته بشكل أو بآخر باجهزة الدولة المختلطة . فهناك مؤسسات حكومية مثل الصحف والدوريات المختلفة . وهناك المؤسسة الرسمية للاذاعة والتلفزيون . يضاف إلى ذلك مؤسستان لانتاج الافلام السينمائية (المؤسسة العامة للسينما وشركة بابل) (١٤) . أما الثاني ، القطاع الخاص الذي يخص ميدان الطباعة . هذا القطاع يمول عن طريق القروض (المصرف الصناعي) بهدف توسيع أو تطوير أو استيراد المكائن والأجهزة الحديثة (١٥) .

ان الميزانية المقررة لوزارة الثقافة والاعلام وحدها في ميزانية الدولة يمكن اعتبارها ابلغ دليل على أهمية خدماتها . وبقدر ما يتعلق الأمر بتمويل الصحف فاننا اخترنا الفقرات (٣) و (٤) و (٨) فقط لأنها تمس مباشرة الانتاج الصحفي . وفي الحقيقة ليس لدينا سوى ميزانيتي ١٩٨٠ و ١٩٨١ ، اما السنوات اللاحقة فلم تنشرها جريدة الوقائع العراقية . ومع ذلك نستطيع

(14) ROSSI (pierre), Irak, Le pa ys du nouveau fleuve, paris, ed. J. 1980. p. 178.

(١٥) البصري (عبدالجبار داود)، السياسة الثقافية في العراق ، بغداد دار الرشيد للنشر (منشورات وزارة الثقافة والاعلام : السلسلة الاعلامية) ، ١٩٨٣ ، ص٥٩ . أنظر ايضاً : العبيدي وسائل الاتصال ...، المصدر السابق ، ص٢٥٥-٢٥٤ . كذلك : وزارة الثقافة والفنون المصدر السابق ، ص ١٧١-١٧٥ .

وايضاً : العبيدي ، وسائل الاتصال ...، المصدر السابق ، ص ص ٣٥٥-٢٧٣ .

كذلك : وزارة الثقافة والفنون ، الثقافة والفنون في العراق ، بغداد ، بلا ناشر ١٩٧٨ ، ص ص ١٥٧-١٦٦ .

انظر كذلك : التقرير المركزي للمؤتمر القطري التاسع ، المصدر السابق ، ص ص١٥٧-١٥٩ .

اعتمادها نقطة انطلاق في معرفة تخصيص الاعتمادات للوزارة : ومن ناحية أخرى يمكن افتراض ان اعتمادات الوزارة للسنوات اللاحقة قد ازدادت نظراً لتصاعد أهمية الدور الذي ستقوم به الثقافة الاعلامية مع استمرار وتصاعد الحرب .

عند قراءة ميزانيتي ١٩٨٠ و ١٩٨١في الباب المخصص لوزارة الثقافة والاعلام نستطيع ملاحظة الامور التالية من خلال ثلاث مؤسسات ثقافية اعلامية فقط خصصت لها فقرات الانفة الذكر . (١٦) كان مخصصاً لوكالة الانباء العراقية في ميزانية الوزارة لسنة ١٩٨٠ أكثر من مليوني دينار عراقي ، وزيد المبلغ بعد قيام الحرب إلى أكثر من ثلاثة ملايين في أقل من سنة .أما دار الجماهير للصحافة فلم يكن نصيبها بأقل في الزيادة للمدة نفسها. فقد ازدادت تخصيصاتها إلى أكثر من مليون دينار . والملاحظة نفسها تصح أيضاً لدار آفاق عربية للصحافة والنشر . ويلاحظ أيضاً بالنسبة إلى مجمل التخصيصات للخدمات الثقافية والاعلامية في ميزانية الوزارة الكلية ، عدا استثناءاً واحداً ، ان الزيادة قد تجاوزت المليون غالباً ، واحياناً الأربعة ملايين أو الستة حسب الفقرات . وتكفي هذه الأمثلة لكشف أهتمام الدولة بهذه المؤسسات الحيوية والتي ستقوم بدور مهم في حالة حرب طويلة الأمد . وثمة حقيقة أخرى تكشفها لنا هاتان الميزانيتان وهي ان هذا الاهتمام كان واضحاً قبل الحرب . أي ان اعتبار الثقافة الأعلامية من العوامل الاساس في عملية البناء كما في حالة الحرب (١٧) .

(١٦) جريدة الوقائع العراقية ، العدد (٢٧٥٢) ، ١٩٨٠/١/١٤ ، ص‌ص ٧٦ ، ٨٧.
كذلك العدد (٢٨١٢) ، ١٩٨١/١/١٢ ، ص‌ص ٥٦ ، ٦٦ .

(١٧) انظر الحوار الذي اجراه ماجد السامرائي مع السيد لطيف نصيف جاسم (وزير الثقافة والاعلام سابقاً) ، نشر في مجلة التضامن واعيد نشره في مجلة الف باء، العدد (٩٠٨) ، ١٩٨٦/١٢/٢٩ ، ص ٥٠-٥٣ .
انظر ايضاً : التقرير المركزي للمؤتمر القطري التاسع ،المصدر السابق،ص‌ص ١٥٧-١٥٩.
انظر كذلك : Rossi, op. cit , p. 175

على الرغم من ان المؤسسات الثقافية والاعلامية كانت قد تطورت وتقدمت على المستويات كافة خلال السبعينات وكان بمقدورها القيام بالمهمة التي اعدت لها منذ بداية الحرب ، الا ان السياسة العامة للدولة رأت فيها عدم كفاية . ومن هنا سعت في سياستها الثقافية الاعلامية إلى تلك الزيادة المتصاعدة في الميزانية بغية الحصول على وسائل متقدمة وذات انتاج متميز في الكم والنوع يتناسب والتحدي الجديد . لقد انعكس ذلك في الانتاج الثقافي عموماً . وهذا واضح في الثقافة الاعلاميه المنشورة في الصحف من خلال « الصفحة الثقافية » (١٨). ونعني تحديداً صحف الجمهورية والثورة والعراق والقادسية حيث تعد هذه الأخيرة نموذجاً خاصاً للتطور الكمي والنوعي خلال سنوات الحرب . إذ ان الازدهار السريع لهذه الصحيفة يضيف دليلاً أشد قوة لاهتمام الدولة في هذا المجال ، لان جريدة القادسية قد تحولت من نشرة صغيرة متواضعة ، تصدرها دائرة التوجيه السياسي في وزارة الدفاع في بداية الحرب إلى جريدة وطنية رصينة خلالها قد اجتذبت اليها عدد كبير من القراء لمزاياها الخاصة في تجديد روح الصحافة العراقية من خلال التنافس الذي فرضته بين الصحف (١٩) . با عتقادنا تكفي بعض الاشارات للتدليل على التطور الذي حصل في الصحف اليومية . فقد تزايد عدد الصفحات وتعددت الالوان المستخدمة في صفحاتها وكذلك عدد النسخ المطبوعة وعدد الطبعات . فضلاً عن استخدام التكنولوجيا المتقدمة مثل استخدام التنضيد الالكتروني والطابعات الالكترونية والكومبيوتر (٢٠) .

---

(١٨) انظر حوار ماجد السامرائي مع السيد لطيف نصيف جاسم ، المصدر نفسه .
(١٩) العبيدي ، وسائل الاتصال ... ، المصدر السابق ، ص ٢٤٧ – ٢٥٤ .
(٢٠) المصدر نفسه ، انظر ايضاً : وزارة الثقافة والفنون المصدر السابق ، ص١٥٧–١٦٦ .

أما فيما يتعلق بالصناعة الثقافية فأنه على الرغم من توافر مستلزماتها عراقياً فان الحاجة لاستخدام التكنولوجيا المتقدمة في هذا المجال قد دفعت بعض المؤسسات إلى استيراد أجهزة الطباعة المتطورة ومحطات الارسال الاذاعي والتلفزيوني . وهنا تجدر الاشارة إلى ان العراق يعد أول دولة عربية ابتدأ فيها البث التلفزيوني في ١٩٥٦ دون ان ننسى بان الصحافة قد بدأت منذ ١٨٦٩ وان الراديو منذ ١٩٣٩ ، كذلك وكالة الأنباء العراقية (و أ ع) منذ ١٩٥٩ (٢١) . من ناحية أخرى وفي نفس سياق التوجه ازداد تبادل البرامج الاذاعية ، والتلفزيونية مع الدول الأجنبية (٢٢).

ان توفير الملاكات المتخصصة والفنية يعد من الاولويات في أية سياسة ثقافية اعلامية . ومن المعروف ان ذلك يشكل مسألة حساسة وبالغة الأهمية بالنسبة للسياسة العامة لاية دولة من دول العالم الثالث (٢٣) . وقد حاولت الدولة منذ البداية توفير الملاكات اللازمة في هذا الميدان . ولتحقيق ذلك اتبعت سبيلين متكاملين : ارسال البعثات الطلابية للتخصص في ميادين الاعلام في الدول المتقدمة . أما السبيل الاخر فهو اعداد جزء من الكادر المطلوب وطنياً من خلال المؤسسات التعليمية المتوفرة أو التي توافرت خلال الثمانينات (٢٤) . من خلال هذه الوسائل سعت السياسة الثقافية الاعلامية إلى

(21) RUGH (William A.), The arab press, London, croom Helm LtD, 1979 pp. 117, 119, 141.

(٢٢) البصري ، المصدر السابق ، ص٥٢-٥٦. انظر كذلك :وزارة الثقافة والفنون ،المصدر السابق ص١٥٧ وما ياتي بعدها . وايضاً :

ADWAN (Nawaf), Impact de La television sur Levolution socio-Cultu-relle en Irak, These pour le doctorat de specialite, Universite de Paris 11, 1976, p. 112 et seq

(23) MACBRIDE (Sean) et al, voix multiples, un seul mode, Rapport de la commission internationale d'etude des problemes de la communication, president MacBride, Paris, Unesco, 1980, pp. 285 et287.

(٢٤) انظر حوار ماجد السامرائي مع السيد لطيف نصيف جاسم ، المصدر السابق ، ص ٩٣ . ايضاً : البصري ، المصدر السابق ، ص ٥٥ . كذلك: مجلة فنون ، العدد (٢٠) ، ١٩٧٨ والاعداد (٧١ ، ٧٤ ، ٤٣ ، ٤٨) ، ١٩٧٩ .

التعاون مع السياسة التعليمية في الجامعات والمعاهد الفنية كي توفر ملاكات عراقية يمكن الاعتماد عليها كلياً تقريباً لسد الحاجات في الميادين المعينة (٢٥) وهكذا بلغت نسبة الزيادة في بداية الثمانينات بالقياس إلى ١٩٦٨ في توفير الملاكات المتخصصة لادارة النشاطات الثقافية كالاتي : « التعليم المهني ٤٥٦ ٪ ، دور المعلمين والمعلمات ١٦٦ ٪ ، التعليم الجامعي ١٩٦ ٪ ، الدراسات العليا ٥٩٥ ٪ » (٢٦) . فضلاً عما تقوم به الوزارة نحو ملاكاتها لتطوير قدراتهم المهنية في دورات تدريبية في معاهد ومراكز متخصصة مثل : معهد التدريب الاذاعي والتلفزيوني ، والمركز العربي لبحوث المستمعين والمشاهدين (٢٧) .

في الواقع ان توافر انتاج ثقافي واعلامي يتطلب وجود مستقبلين لديهم حد ادنى من الثقافة . وهذا لا يعني معرفة القراءة والكتابة فقط وانما القدرة على فهم المضامين المكتوبة والمسموعة والمرئية ، وقابلية تحويلها إلى سلوك . بكلمات اخرى على حد تعبير وزير الثقافة والاعلام الاسبق السيد لطيف نصيف جاسم الذي يقول : «لا اقصد بالثقافة هنا الكتب واستيعاب ما في الكتب وحسب ، على ما للكتب من اهمية ، ولكنني اعني الثقافة بمعناها الشامل والتي هي فهم الحياة ووعي المبادىء (٢٨) . في هذا الميدان استطاعت السياسة التعليمية في مراحل الدراسة كافة ان تهيء وتعد جمهوراً من قراءة الصحف المحتملين لا سيما وان التعليم في العراق منذ النصف الثاني من السبعينات الزامي ومجاني . وهذا يفترض ضمنياً قراء «للصفحة الثقافية» . ويمكن اظهار التطور الكبير للتعليم في اللوحة ادناه (٢٩) .

(٢٥) البصري ، المصدر السابق ، ص ٤٣ .
(٢٦) المصدر نفسه ، ص ٤٧ .
(٢٧) العبيدي ، وسائل الاتصال ... ، المصدر السابق ، ص ٣٥٥ — ٣٧٧ .
(٢٨) انظر حوار ماجد الساموائي مع السيد لطيف نصيف جاسم ، المصدر السابق
(٢٩) انظر في هذا الميدان تقارير المؤتمرات القطرية لسنتي ١٩٧٤ ، ١٩٨٢ .

يلحق بهذا التطور الحملة الوطنية الشاملة لمحو الأمية لسنة ١٩٧٨. فقد بين احصاء تشرين الاول ١٩٧٧ بان عدد الاميين لفئات العمر من ١٥ إلى ٤٥ سنة كان بمقدار (٢٢٥ ، ٣٥٤ ، ٢) ، حصة الاناث منه (٧١١ ، ٦١١ ، ١) امرأة . وهذا يعني ان مقدار نسبة الامية يعادل (١٩,٦٪) (٣٠) . واذا علمنا ان قانون الحملة قد حقق اهدافه الاساس تقريباً في اقل من عام على بدء الحملة في ١/١٢/١٩٧٨ ولغاية تموز ١٩٧٨ اذ اصبح عدد الملتحقين بالمدارس الشعبية يعادل تقريباً (٢,٥٨٧,٥٠) (٣١) فاننا نستطيع ان نقول بان نسبة الامية هبطت او كادت إلى ادنى مستوياتها بعد الأنتهاء من الحملة.

اخيراً نشير إلى انه في اطار السياسة الثقافية اهتم الانتاج الثقافي بالتراث الثقافي المحلي (٣٢) . ولم تغفل التشريعات التي تمس النشاط والانتاج الثقافي من ان تقوم بدورها الفاعل في تعضيد الحياة الثقافية وتنظيمها ناهيك عن المحفزات المادية والمعنوية الممنوحة للابداعات الفنية والادبية من قبل المؤسسات الثقافية والاعلامية (٣٣) .

حاولنا في هذا القسم اعطاء فكرة عامة عن منطلقات السياسة الثقافية وعلاقة ذلك بصورة غير مباشرة بانتاج «الصفحة الثقافية» . وقد آن الوقت لمعرفة طبيعة هذه الصفحة ودورها خلال سنوات الحرب .

---

(30) Le Monde,24-25 Juin;1979, P.21

(٣١) مجلة وعي العمال ، رقم (٥٢٢) ، ١٩٧٩/٧/١٤ ، ص ٧٨ . انظر كذلك مجلة فنون رقم (٤٢) ، ١٩٧٩/٥/٢٨ ، ص ٥٨ .

(٣٢) البصري (عبدالجبار داود) والعلوجي (عبدالحميد) ، الثقافة المحلية في العراق ، بغداد ، مطابع الجمهورية ، وزارة الثقافة والاعلام ، مديرية الثقافة العامة ، سلسلة الثقافية العامة رقم (٥) ، بلات ، ص ٢٦ وما يأتي بعدها .

(٣٣) سعيد (امجد محمد) ، «المسألة الاعلامية في فكر الرئيس القائد» ، وقائع الندوة الفكرية المنعقدة للفترة ١١ — ١٣ نيسان ١٩٨٨ في قيادة فرع نينوى تحت عنوان : دور الرفيق القائد المناضل صدام حسين في بناء العراق الجديد ، حزب البعث العربي الاشتراكي ، مكتب تنظيم الشمال : اللجنة الثقافية ، ١٩٨٨ ص ص ٥٩٣ — ٦١٢ .

لوحة تظهر تطور التعليم في العراق (*)

المرحلة الدراسية	السنة	الطلبة	الصفوف	المعلمون
الابتدائية	٧٤ — ١٩٧٥	١,٥٤٤,٠٠٠	٤٨,٦٥٠	٦٥,٣٨٧
	٧٩ — ١٩٨٠	٢,١٨٨,٠٠٠	٦٠,٧٨٥	٨٧,٦٢٦
المتوسطة	٧٤ — ١٩٧٥	٩٠١ — ٢٥٩	٧,٩٠٩	١١,٤٩٦
	٧٩ — ١٩٨٠	٥٠١,٤٦٣	١٥,٦٠١	٢٢,٦٨٨
الثانوية	٧٤ — ١٩٧٥	١١٠,٩٨٧	٢,٣٥٧	٣,٣٥٧
	٧٩ — ١٩٨٠	١٦٠,١٤٩	٤,٥٠٨	٣,٨٨٨
الفنية	٧٤ — ١٩٧٥	٢١,٧٦١	٧٦٣	١,٣٨٥
	٧٩ — ١٩٨٠	٨٩,٥٠٩	٣٠٥٠	٤,٧٧٨
الجامعة	٧٩ — ١٩٨٠	٧٠,٠٠٠	عدد الجامعات (٦)	

الخطة الخمسية تقضي باعتماد (٦٣٠) مليون دينار. كل عام (١٢٤) مليون دينار .

٢ — طبيعة ((الصفحة الثقافية))

ان أية سياسة هي ايضاً بوجه من الوجوه سياسة ثقافية اعلامية (٣٤) .

(*) مستل من كتاب Rossi ,op. cit., P.163.

(34) BALLE (Francis), La communication: Plaidoyer pour une nouvelle problematique , ce document fait partie d'une serie de documents prepares a Lintention de la Commission internationale d etude des problemes de la de La Communication, no 40, unesco, n.d. p.10

وهذه الاخيرة بدورها يمكن ان تحتوي في احد حقول نشاطها على سياسة اعلامية ضمن اطار «الثقافة الجماهيرية» التي نبتت وترعرعت في ظل التطور التكنولوجي لوسائل الاتصال الجماهيري ، فهي احد ابنائه الشرعيين (٣٥) :

لقد التزمت الصحف العراقية خلال فترة الحرب بشكل عام بنشر صفحاتها الاعتيادية . لهذا «فالصفحة الثقافية» استمرت مع باقي الصفحات ترفد قراءها بالمواضيع الادبية والفنية المختلفة الخاصة بها بدون توقف تقريباً . ونظراً للكمية الكبيرة من هذه المواضيع المنشورة فاننا لن نشير إلا لبعض الامثلة المأخوذة ، دون قصد محدد او تفضيل معين ، لغرض التوصل إلى استنتاجات تخص أهداف البحث . وعليه لن يجد القارىء احصائيات كمية ونوعية بالمواضيع المنشورة في هذه الصفحة خلال الفترة المعنية او اية مقارنة بين هذه وما نشرته الصفحة خلال الفترة السابقة على الحرب (٣٦) .

سنحاول في هذا القسم عرض طبيعة المكونات الاخرى التي في عمومها تعطي الهوية الخاصة «بالصفحة الثقافية» اذ يمكن عرضها من خلال محورين : الاول يحلل العناصر المكونة والثاني يحدد السمات الخاصة .

أ. العناصر :

ان العناصر التي تتكون منها « الصفحة الثقافية» تدخل ضمن ما اصطلح تسميته بـ «الثقافة الجماهيرية» في مجال الثقافة الاعلامية بأنها تتجسد في ما تنتجه لوسائل الاتصال الجماهيري الادباء والفنانون والمثقفون لتلبي حاجات لدى الجمهور . لكن يفترض التميز بين هذا الانتاج الثقافي وبين ما ينتج من خلال الدوريات المتخصصة وسبب ذلك يرجع إلى طبيعة المتطلبات الخاصة لكل منهما سواء في الوسيلة الاتصالية او المضمون او الجمهور المستهدف . لهذا السبب لن نتطرق هنا للثقافة المتخصصة . فمن هؤلاء الذين يكتبون ؟ وما هي اشكال

(35) MORIN (Edgar), L Esprit du temps, Necrose, Paris, Ed. Grasset et Fasquelle, 1975, vol2, pp. 100–103.

(٣٦) انظر حوار ماجد السامرائي مع السيد لطيف نصيف جاسم ، المصدر السابق ، ص ٤٠ .

وتوعيات كتاباتهم ؟ واخيراً لمن يكتبون ؟ سنحاول الاجابة تباعاً فيما يلي : —

من يكتب ؟ للاجابة لن نخوض غمار متاهات تحديد مفهوم المثقف ، اكننا تعني هنا على وجه التحديد الافراد الذين بالاضافة إلى تحصيلهم العلمي لديهم بجهودهم الذاتية مفاهيم فكرية وعلمية في مجال الادب والفن والصناعة الصحفية (٣٧) . بعد هذا يمكن الاجابة بأن فئات مثقفة من مختلف التخصصات هي التي تكتب (٣٨). غير ان تعميم كهذا لايوضح الامر ، اذ يجب ان نفرق بين صنفين ، الاول منهما اولئك الذين يمتهنون الصحافة . اي بالمعنى الوظيفي محترفون وموظفون في الدولة (٣٩) . وهؤلاء حسب طبيعة عملهم يفترض فيهم التخصص او في الاقل الممارسة المهنية الطويلة . ويُعد الصحفي من الفئة المثقفة في المجتمع (٤٠) . وعليه فيجب ان يتوافر فيه شرط اساسي من بين شروط اخرى «هو ان يكون مثقفاً ثقافة عامة تمنح له بأن يصرف مفردات الحياة بطريقها الصحيح من موقع اختصاصه» (٤١) . فهو من هذا المنطلق وحسب الموقع الصحفي الذي يحتله في الصفحة مسؤولا او مساهماً في انتاجها سينهض بالدور الذي يترتب عليه نحو القراء .من ناحية اخرى باعتباره مسؤولا عن الصفحة فإن مسؤولية اختيار نصوصها والاشراف على اخراجها تقع عليه من هنا سيسأل شخصياً في النهاية عن مضمونها قبل غيره فيما لو تجاوزت الاسس الخاصة بالعمل الصحفي عامة (٤٢) .

اما الصنف الثاني منهم المثقفون والادباء والفنانون الذين يكتبون في الصحف

(٣٧) جواد (د. عبدالستار) «في معنى الثقافة والمثقف» ، جريدة الثورة ١٩٨٧/٨/٢٦ ، ص ٧

(38) MORIN, (Edgar), (NOUVAEUX courants dans L'etudes des communicatlions de mass)) , in Unesco, "Essai sur les mass media et La Culture Paris, Unesco, ouvrage collective, 1971, p. 15.

(٣٩) الراوي ، المصدر السابق ، ص ٣٥ .

(٤٠) المصدر نفسه ، ص ٣٣ .

(٤١) سعيد ، (امجد محمد) ، المصدر السابق ، ص ٦٠١ .

(٤٢) فيما يتعلق بأهم المواصفات المطلوبة في رجل الاعلام انظر المصدر نفسه ص ٦٠١ ، ٦٠٣ .

عامة و «الصفحة الثقافية» خاصة. وقد ازداد عددهم من حيث الكم على حساب النوعية خلال فترة الحرب ، سيما وان مكافآت الصفحة كانت مجزية . ويمكن ان يصح على بعضهم ما قاله السيد الرئيس القائد مخاطباً عدداً من الصحفيين : «ان عدداً كبيراً منكم يكتب في اكثر من مجال وفي اكثر من صيغة والعمل بهذا الشكل لا يترك لكم اسماً في التاريخ . والقليلون منكم ممن يعرفهم التاريخ والقليلون منكم يعرفهم الجمهور»(٤٣). هؤلاء ليسوا بصحفيين ولا بالضرورة جميعهم من الموظفين في مؤسسات الدولة ، وعموماً يأتي هؤلاء من الجامعات والمراحل التعليمية السابقة عليها ، وكتاباتهم تسهم في الصفحة خصوصاً بالمتخصصين منهم في مجال الادب او الفن . يضاف اليهم ممن يأتون من خارج نطاق المؤسسات التعليمية او غيرها ، وان كانوا غير متفرغين لنشاطهم الادبي او الفني في الصحف (٤٤) . ويقوم بعضهم بترجمة المواضيع في المجال نفسه من الدوريات والمطبوعات الاجنبية عموماً. في هذا الصدد يلاحظ بأن نسبة المتخصصين في الترجمة كمهنة من الذين يعملون في الصحافة محدود بالقياس للذين يعرفون لغة اجنبية ويترجمون عنها دونما تخصص في هذا المجال هذه الظاهرة معروفة خصوصاً في الوسط الصحفي والقريبين منه . هنا يجب التنبيه إلى ان الادباء والفنانين المعروفين ليسوا بالضرورة من الذين يكتبون عادة في الصحف . لهذا يمكن القول بأن اغلبية المنشور في هذه الصفحة يعتمد على فئة معروفة بدرجة اقل او غير معروفة للجمهور القارىء . مع ذلك فإن . انتاج الصفحة لا يعني دائماً انتاج من الدرجة الثانية وفي كل الاحوال يلائم وظيفة الصحيفة ومعاييرها المهنية . هؤلاء جميعاً هم الذين يغذون انتاج ومادة هذه الصفحة .

بأي صورة او شكل ينتج هؤلاء؟ للاجابة يجب ان نبين بايجاز خصوصية الكتابة الصحفية إذ ان هذه الخصوصية تتجلى ببساطة النص ووضوحه من جهة

(٤٣) من لقاء الرئيس القائد مع منتسبي دار الجماهير للصحافة ، جريدة الثورة، ١٩٨٠/١/١
(٤٤) انظر حوار ماجد السامرائي مع السيد لطيف نصيف جاسم ، المصدر السابق ، ص ٥٠ .

وايجازه وجاذبيته التي تعتمد على العاطفة من جهة اخرى . يضاف إلى ذلك ملاءمة الموضوع للاحداث التي تعد عند غالبية القراء مهمة او مثيرة للانتباه ، او تحاول الصفحة ان تقدمها على هذا الاساس. فالظاهرة المعروفة ان من الاهداف الرئيسة للصفحة هو الوصول إلى اكبر عدد ممكن من القراء باعتبارها وسيلة اعلامية ثقافية جماهيرية . هذا يعني الكتابة للقارىء «المتوسط» الذي لاسباب خاصة به ، سنشير اليها لاحقاً ، لا يميل إلى قراءة المواضيع المطولة والمتخصصة او تلك التي تعد من الادب او الفن الطليعي . فثقافة الصحف ثقافة جماهيرية وللجميع تقريباً (٤٥). ان هذه الخصوصية لا تقلل من شأن الادب والفن المنشور بل تعده على العكس ، ميزة مهمة في مجالها الوظيفي .

والان ، ما نوعية الانتاج في «الصفحة الثقافية» يجوز الاشارة إلى نوعين من الانتاج : يقتصر الاول منه على ادب وفن عراقي او عربي ويلاحظ هنا بأن تجربة الحرب كانت عامل معجل وفاعل في اغناء الثقافة بوجه عام وثقافة «الحرب» في مجال الأدب والفن بشكل خاص . ذلك لانها تجربة جديدة في مواضيعها التي استلهمت واقع الحرب وعكست قيمه لتكون نوع او نمط جديد لم يكن سابقاً موجوداً في تاريخ الأدب والفن في العراق المعاصر (٤٦). اما النوع الثاني فماذته مترجمة عن الثقافة الأجنبية . نأخذ مثلا واحداً على ذلك يشمل النوعين في آن واحد . فمسرحية (المتوحشة) للكاتب المسرحي جان آنوى يمكن اعتبارها نموذجاً مزدوجاً يعكس نصاً اجنبياً مترجماً تحول إلى عمل مسرحي عراقي (الاخراج ، التمثيل ، المسرح ، الجمهور). وقد كتب عن هذا

(45) MORIN, "Nouveaux courants..." in Unesco, 'Essais sur...". op. cit p. 25.

CHOMBART DE LAUME (Paul-Henry). La culture et Le pouvoir Paris, Ed. Stock, 1975, P.4.

انظر ايضاً :

(٤٦) الدعمي (محمد عبدالحسين) ، «في ثقافة واعلام الحرب» ، جريدة القادسية ، ٢٧/ ١١/ ١٩٨٧ ، ص ٣ . انظر ايضاً : حوار ماجد السامرائي مع السيد لطيف نصيف جاسم ، المصدر السابق ، ص ٥١ . لاحظ كذلك في هذا الصدد مقالة ادهام محمد حنش «التنشيط الثقافي مؤشرات اولى» جريدة القادسية ١٩٨٨/٩/٢٦ . ص ٤ .

العمل المسرحي مقالان نقديان غطيا ثلثي «الصفحة الثقافية» في جريدة الجمهورية (٤٧) فهذا المثل يعني تعريف القارىء بنص ادبي اجنبي وكذلك نقد للعمل المسرحي كنشاط ادبي عراقي . هذا النموذج يمثل واحداً من مئة في اقل تقدير من الموضوعات التي نشرت في الصفحة خلال سنوات الحرب . وكما يلاحظ لم يكن له بالضرورة علاقة بواقع الحرب ، فقد نشر الموضوع في ٨ آيار ١٩٨٨ ولم يمض على تحرير الفاو في ١٧ نيسان ١٩٨٨ حتى شهر كامل . من ناحية اخرى يأتي هذا الانتاج من المناسبات الادبية والفنية التي ينشر عنها في اطار تحقيقات صحفية او مقابلات ومقالات نقدية ، نذكر على سبيل المثال مهرجان المربد ويوم المسرح العراقي وندوات ومؤتمرات ادبية ومعارض فنية .. الخ .

ونستطيع اجمالاً ادراج موضوعات النوع الأول في الأشكال التالية دون حصر : القصة القصيرة والشعر والمسرح والنقد الأدبي واديات تراثية وتاريخية واخبار ثقافية متنوعة تمس هذه الموضوعات . فضلاً عن ذلك يمكن ملاحظة أيام محددة من الاسبوع تخصص فيه « الصفحة الثقافية » لنوع واحد من الأدب ، مثلاً المسرح واخباره ، أو لنوع واحد من الفنون ، مثلاً فن تشكيلي والاخبار الخاصة بهذا الفن . واحياناً تقدم أو تؤخر الأيام المخصصة تبعاً للمناسبات المهمة في هذا المجال . أما موضوعات النوع الثاني ، فهي بهذا القدر أو ذاك لا تختلف كثيراً عن النوع الأول الا بكونها مترجمة عن الصحف أو المجلات أو الكتب الأجنبية وما يتطلب ذلك من مراعاة حدود وأهمية المواضيع للقارىء العراقي . وهي بشكل عام من حيث الكم أقل من النوع الأول . أما من ناحية اخراج الصفحة فانها تأخذ في العادة مساحة لا تتعدى الصفحة الواحدة أو ربما أقل . لكن حسب الضرورة والمناسبات المهمة للغاية (مهرجان المربد مثلاً في ١٩٨٦) فانها قد تتجاوز الصفحة إلى صفحتين أو أربع . من جانب آخر ان المساحة المعطاة لتفاصيل الصفحة تتفاوت في السعة والمكان تبعاً لأهمية المواضيع ومتطلبات طريقة الاخراج فنياً . فبالنسبة إلى أهمية الموضوعات فقد تعطى لقصة قصيرة أو لقصيدة أو لمقابلة مع أحد

(٤٧) جريدة الجمهورية ، العدد (٦٨١٠) ، ٨/٥/١٩٨٨ ، ص ٦ .

الادباء او الفنانين العسكريين نصف الصفحة أو أكثر . في هذا المجال يمكن ملاحظة العديد من أفراد القوات المسلحة كانوا نشطين في الانتاج الفكري والأدبي عموماً حيث تكاد لا تخلو الصحف بشكل عام من انتاج احدهم أو عدداً منهم خصوصاً في جريدة القادسية . ويسهل على القارىء المتابع لصحف الاعوام الثمانية من ملاحظة هذه الظاهرة . ولنأخذ مثلاً آخر : كان محتوى «الصفحة الثقافية» بمناسبة البيعة قد غطى كل المساحة (شعر ومقالتان) فضلاً عن مكونات الصفحة الفنية المرتبطة بالموضوع (٤٨) . أما بالنسبة إلى متطلبات الاخراج فانها تتأثر بتلك الأهمية من حيث اختيار الحروف المطبوعة وابراز العنوانات وضرورة الصورة أو الرسم أو الزخرفة والخطوط ، إذ تقوم كل هذه المكونات بدورها الايحائي للقارىء بصورة تلائم الهدف من نشر الموضوع .

وأخيراً من يقرأ ؟ انه المواطن — القارىء : وقراءته تعتمد على مدى قدراته الخاصة في هضم الانتاج المنشور ، في مرحلة أولى ، وامكاناته في تمثيل وتحويل ذلك ومن ثم عكسه في قيم سلوكية عينية تسهم مع القيم الأخرى في تقويم وأغناء ممارسته اليومية ، في مرحلة ثانية .

مبدئياً في الأقل اضحى لدينا منذ ١٩٨٠ جمهور واسع من قراء الصحف الذي سيزداد سعة على مدى سنوات الحرب . هذه المسلمة التي تستمد جزءاً من شرعيتها (*) من انخفاض نسبة الأمية من جانب ، وازدياد عدد الطلاب والخريجين برغم ظروف الحرب من جانب آخر ، هذه المسلمة تتضمن ملابسات عديدة . ذلك ان القدرة على القراءة لا تعني بالضرورة امكانية الاستيعاب الكلي لمضمون النص المقروء حتى لو كان نصاً صحفياً . فطريقة

(٤٨) جريدة الثورة ١٩٨٧/١١/١٤ ، ص ٧ .

(*) نذكر على سبيل المثال جزءاً آخر من تلك المسلمة : تطور الصناعة الثقافية وسهولة ايصالها بالوسائل التكنولوجية الحديثة الى الجمهور الذين بسبب ظروف الحرب ازداد عددهم واصبحوا يتابعون قراءة الصحف واخبار الحرب او الا بتعاد لبرهة عن واقعها في قراءة الصفحة الاخيرة مثلا .

القراءة تختلف من فرد إلى آخر ، ليس فقط بسبب الوضع الاجتماعي وطبيعة المهنة أو الميول الثقافية أو الاتجاه السياسي ، بل لان قابلية الفهم لمضمون النص ليس له قياساً موحداً ينطبق على الجميع . ومن المعروف أيضاً ان نصاً ادبياً أو فنياً يختلف القراء في تقبله بصورة مماثلة وبالتالي التأثر به . وعليه فان هذه القدرة عموماً وعند قراءة الصحف خاصة تعتمد على مسألتين الأولى تتعلق بوظيفة الصحف باعتبارها وسيلة اعلام جماهيرية ، والثانية تخص تكوين وشخصية القارىء الثقافية .

لن ندخل في التفاصيل ، حسبنا ان نلاحظ بالنسبة إلى المسألة الأولى أن الصحف تصل عادة في أوقات محددة ، وأماكن بيع مألوفة في المدينة والريف على السواء وفضلاً عن ذلك ثمنها الزهيد يتيح لكل شخص امكانية اقتنائها . هذه الملاحظة تعني بغض النظر عن المضمون ان الصحيفة لكونها تشبع حاجة ما عند المواطن فأنها ستؤثر بصورة غير مباشرة في عاداته وأوقات فراغه : شراء الصحيفة في أوقات غالباً متقاربة ، قراءتها في مكان معين دون آخر .. الخ وهنا تجدر الاشارة إلى ان وصول الصحف إلى القراء في أوقات محددة قد اختلف بسبب أوضاع الحرب . . في الواقع كانت الصحف تصل خلال اليوم دون تحديد ساعة تقريبية لذلك حسب ظروف الطبع والنقل ونسبة بعد المحافظات عن بغداد . وقد أثر هذا على عادات القراء من حيث أوقات القراءة وأماكنها . وفي بعض الأحيان لا تصل الصحف إلا في اليوم التالي مع صحف اليوم الجديد . وغني عن البيان الاشارة إلى أثر ذلك على وظيفة الصحيفة الاخبارية .

أما بخصوص المسألة الثانية فأنها تشير إلى طريقة قراءة الصحيفة التي ترتبط بدوافع القارىء : لماذا يقرأها ؟ ماذا يقرأ فيها وماذا يترك ؟ أي الصفحات تحظى بأولوية قراءته ؟ ... الخ هذه الدوافع بدورها تعتمد على تكوينه وشخصيته . فالفرد ينتمي إلى طبقة اجتماعية في المدينة أو الريف تكشف عن مستوى تحصيله الثقافي وميوله في قراءة مواضيع لها أهمية خاصة بالنسبة له قد لا تكون كذلك في نظر الاخرين . وهو كذلك بحكم مهنته له مستوى

اقتصادي يؤثر على رغباته وذوقه وميوله ، كذلك موضعه في العلاقات الاجتماعية وأثر ذلك على مناقشة مضامين الصحيفة واتخاذ موقف من هذا الخبر أو ذاك الموضوع ... الخ كل هذه القضايا تدلل على ان القراءة ليست على مستوى معيار واحد لدى جميع القراء . ويمكن الاستنتاج بأن القراء كل حسب خصوصياته قد نجد بينهم من لا يقرأ « الصفحة الثقافية» ويفضل عليها الصفحة الرياضية « أو الصفحة الأخيرة » . كذلك لا يكفي معرفة الشخص للقراءة كي يقرأ سيما لو أخذنا بنظر الاعتبار توفر وسائل اتصال أيسر وأكثر اثارة مثل الراديو أو التلفزيون قد يجذب الجمهور للاستماع أو المشاهدة أكثر من القراءة . مع ذلك يبقى من الامور المقبولة ان نؤكد بأن نوعية الانتاج الصحفي يقوم بدور مهم في جذب القراء . فبقدر ما يكون الغرض مغرياً يكون الطلب كبيراً ، ومن المعروف ان مواضيع الصحيفة متنوعة ومختلفة إذ انها جذب القراء من المثقف المتخصص إلى الرجل « العادي » الذي قد لا يهتم إلا « بصفحة الرياضة »أو التسلية والترفيه والاعلانات « تجارية أو رسمية » » . وهنا تجدر الملاحظة بشكل عام ان الراديو والتلفزيون يفوقان الصحيفة في وصول وتغطية مساحة أوسع من الجمهور . ان ذلك لا يعني ان هاتين الوسيلتين تلغيان دور الصحيفة كوسيلة أعلام جماهيرية . على العكس ، ان لكل وسيلة من هذه الوسائل دورها الخاص في الاعلام عموماً والاعلام الثقافي بوجه أخص . فرؤية التلفزيون أو سماع الراديو لا يلغي أهمية قراءة الصحيفة بالنسبة لنفس الموضوع اخبارياً كان أم ثقافياً . فالرسائل الثقافية قد يتجاوزها عدد من جمهور القراء في الصحف لكن في أغلب الأحوال لمن يفلت منها ، وبرغبته هذه المرة ، عبر الراديو أو التلفزيون .

مما سبق ذكره يبدو اننا قد شخصنا بعض مكونات « الصفحة ثقافية » . بقي ان نبدأ بعرض المحور الثاني الذي أشرنا اليه في بداية القسم الثاني لنحدد سمات هذه الصفحة .

ب ـ السمات :

يمكن تحديد سمات « الصفحة الثقافية » من خلال الاجابة عن الأسئلة الآتية : ما الاسس المعتمدة في نشر المواضيع ؟ ما مضامينها ؟ وما أهدافها ؟ للاجابة عن السؤال الأول يفترض في محرر « الصفحة الثقافية » ان يضع نصب عينيه ثلاثة أسس لكي يقرر نشر مواضيعها . يأخذ الأساس الأول بنظر الاعتبار القيم المعيارية التي تفرضها السياسة الثقافية الاعلامية ، الاساس منها والثانوية (راجع لوحة القيم المعيارية) . وفي هذا المجال حدد السيد الرئيس القائد ثمة اعتبارات تعطي حيوية أكبر للمعايير المذكورة آنفاً ، لأنها مستقاة من الممارسة الميدانية له ، وان كانت تنطلق منها (٤٩) . وهذه الاعتبارات يمكن اجمالها باختصار شديد في السياق الاتي : انطلاقاً من ان الصحفي يجب ان يكون مؤمناً بنضال الحزب وأفكاره باعتبار الاعلام جزء من نهجه وحركته الفكرية ومن بعد يخدم أهداف الحزب . لهذا يلتزم الصحفي بالموضوعية في ما يكتبه . فالاعلام ليس دعاية وانما نشر الوقائع كما هي لتطعيم الجماهير ضد الأعلام المضاد بكل صورة . وهذا لا يتأتى الا بديمقراطية الاعلام وظيفياً وانتاجياً حتى يتجه قومياً وانسانياً . من هنا تكون العلاقة متكاملة بين الاعلام وبين الثقافة التي تتجسد في بث الوعي ونشر الثقافة لتنوير الشعب وتطويره (٥٠) .

تبعاً لما ذكر آنفاً يبدو لنا ان تنوع الموضوعات لا يتعارض مع وحدة الهدف . فالهدف إذاً هو اختيار ونشر كل ما يعد ايجابياً في تغذية معنويات القراء وفقاً للقيم المعيارية . وهذه الموضوعات مهما اختلفت مصادرها ستكون ملائمة ما دامت تخدم الهدف في المحصلة النهائية . ولهذا فعلى الهدف ان يخدم القيم التي تضع فوق كل اعتبار قيمة الانتماء للامة العربية ثم الدفاع عن هويتها الحضارية وذلك بـ« توضيف العملية الاعلامية من خلال الكلمة والفن

(٤٩) الثورة العربية ، «تجربة العراق الديمقراطية خلال مرحلة الحرب» ، العدد (١٠) ، ١٩٨٩ ص ٦١ .

(٥٠) الراوي ، المصدر السابق، ص ٣٧ انظر ايضاً سعيد ، المصدر السابق ، ص ٦٠٤ .

ورموز الدعاية في الحرب النفسية ضد العدو ... » (٥١) . وهكذا يخدم الهدف قضية الحرب .(٥٢) كذلك ان يثير في المواطن الشعور بالثقة والشجاعة والايمان بقضيته العادلة حتى يكون مستعداً للتضحية والاستشهاد في سبيل النصر (٥٣) ومع ذلك فأن هذا الأساس وحده لا يكفي وان كان هو مرجعاً للاساسين التاليين .

يكمن الاساس الثاني في اختيار الموضوع الذي يجب ان يكون ملائماً ومناسباً لسير الحرب وتطوراتها الميدانية وما تتطلبه القضايا الآنية من اهتمام بالغ لموضوع دون آخر سيما من ناحية تأثيره في الجماهير عموماً حيث تأتي المواضيع لسد الحاجة المعنوية سلبياً أو ايجابياً لديهم (٥٤) .

وأخيراً ، يعتمد الاساس الثالث على المعايير الخاصة بمهنة الصحفي ووظيفة الصحافة . وتنطلق هذه المعايير من فكرة ان المادة الخام للصحف ، الأخبار خاصة ، مادة حساسة وسريعة التلف لانها بطبيعة وظيفتها تخضع لمبدأ الان وهنا » . على هذا الاساس فأن الصحيفة بقدر ما هي انتاج ثقافي واعلامي هي أيضاً صناعة وتجارة . وعليه يجب أخذ معيار الربح والخسارة بنظر الاعتبار وان كان هذا المنظور يختلف في القطاع العام عنه في القطاع الخاص (*) . كذلك يجب الاهتمام برغبات القراء من حيث المواضيع

(٥١) سعيد ، المصدر السابق ، ص ٦٠٤ .
(٥٢) الثورة العربية «العمل التاريخي للامة العربية واثره في جهود المقاتل العراقي» ، الثورة العربية ، العدد (١٠١) ، ١٩٨٩ ، ص ٤١ .
(٥٣) الثورة العربية «المعنويات واثرها في الحفاظ على روح النصر» ، المصدر نفسه ، ص ٧٥
(٥٤) سعيد ، المصدر السابق ، ص ٦٠٥ – ٦٠٦ .
(٥٥) تجب الاشارة الى انه في السنوات الاخيرة من الحرب شجعت الصحف بشكل تدريجي في الاعتماد بجزء من ايراداتها على الاعلانات التجارية (الحكومية والاهلية) برغم انها جزء من نظام الدولة . كذلك في مجال البرامج التلفزيونية حيث انعقد سوق للانتاج التلفزيوني . وقد دعي اليه مشاهدون محدودون من المؤسسات والهيئات التلفزيونية وشركات الانتاج ، سواء من العراق او الاقطار العربية او الاجنبية . وكان الطابع التجاري غالباً عليه . انظر جريدة الثورة ١٩٨٨/٣/١٩ : مقابلة مع د. ماجد احمد السامرائي ، مدير عام دائرة التلفزيون ، في الصفحة الاخيرة .

المختارة وطريقة اخراجها(٥٥)وهذه المعايير وغيرها توظف لخدمةالسياسة الثقافية الاعلامية ومن بعد تضطر المحرر المسؤول عن الصفحة ان يغض النظر عن بعض المعايير التقليدية للمهنة ليتقيد بالقيم المعيارية المذكورة سابقاً . وعلى الرغم من أنه ليس بالضرورة (ان تتطابق اجهزة الأعلام مع مواقف الحزب لان لكل منهما حدوده في التعبير رغم اشتراكهما في القاعدة المبدئية» (٥٦) التي تعتمد على المبادىء الاساس لحزب البعث العربي الاشتراكي إلا انه كما يبدو من السمات العامة لهذه الصفحة ان المحرر يلتزم الأسس الثلاثة الانفة الذكر مع اعطاء الأولوية للاساس الأول . فمثلاً إذا كان من المعايير المألوفة في العمل الصحفي ان تظهر الصفحة ضمن اطار ثابت نسبياً ،مثل توازن أعمد ومساحات المواضيع وتنوعها ، أو قاعدة أولوية النشر للموضوع المتوافر سابقاً على الموضوع الجديد ،او ان وجوب ظهور نوع واحد من الادب أو الفن لمخصصة له الصفحة في كذا يوم من الاسبوع يظل ثابتاً . في ضوء هذه الأمثلة فأن على المحرر ان يخضع خياراته للمواضيع على أساس القيم المعيارية وليس المعايير المهنية فيما إذا تعارضت هذه الاخيرة مع الأولى فمثلاً يفترض ان يلغي عدداً من الأعمدة الثابتة أو كلها إذا اقتضى ظرف الحرب ذلك لينشر مكانها قصة قصيرة عن البطولة والشجاعة والتضحية حتى لو أخذت مساحة كبيرة من الصفحة .. وسيكون الأمر مقبولاً برغم تجاوزه الثوابت التقليدية لانه أمراً تفرضه القيم المعيارية الجديدة باعتباره حاجة معنوية في الفترة المعنية .

للاجابة عن السؤال الثاني : ما مضامين المواضيع المنشورة في « الصفحة الثقافية » ؟ علينا ان ننطلق من الاستنتاج الذي توحيه لنا الاسس الثلاثة السابقة. وهذا يقودنا إلى اكتشاف سيادة الطبع التعبوي في الصفحة . ويظهر هذا الطابع بصورتين صريحة أو ضمنية . مثلاً نشر قصة قصيرة لكاتب عراقي

(55) MORIN, "Nouveaux courant...2, in unesco, "Essais sur...2, Op. cit, p.25.

انظر ايضاً : CHOMBART, op. cit., p.4.

(٥٦) الراوي ، المصدر السابق ، ص ٣٥ .

تستلهم وقائع آخر المعارك في جبهة القتال أو اظهار تأثيرها في الجبهة الداخلية ، أو نشر قصيدة وطنية عن الحرب ، أو حكاية تأريخية عن بطولة وشجاعة المقاتلين العرب في القادسية الأولى ، سيكون لهذه المواضيع طابع تعبوي صريح . ان هذا النوع واضح في هدفه ، محدد في معالمه وقدراته التأثيرية . في حين نشر قصة قصيرة للكاتب خورخة لويس بورخس (٥٧) ، أو مقالة ادبية لرولان بارث (٥٨) ، سيكون لها طابع تعبوي ضمني . كيف؟ هذا ما سنحلله في فترة لاحقة حيث سيتطلب منا بعض التوضيح .

قبل المضي في تحليل الضمني والصريح سنحاول تحديد طبيعة الاداب والفنون . وهذه الطبيعة في الأساس طبيعة نقدية للواقع . فهي حتى من خلال عرض الكائن توحي بالذي يجب ان يكون . ومهما وظفت ووضعت في قوالب واطر لخدمة هدف محدد صريحاً كان أم ضمنياً فهي تقاوم بسبب تكوينها الذاتي تفرز انطباع التضاد بين الواقع المعطى وملامح البديل عنه . لهذا نستطيع القول بأنه لا يوجد ادب أو فن حقيقي يعكس ايديولوجيا خالصة وان كان ممكناً توظيفهما لخدمتها . ذلك لان جوهر الأدب والفن يكمن في الخلق الذي يتكون في رحم الحرية : حرية الاختيار لمفاهيم استشرافية حيث يتغلغل التعبير الاجتماعي في المجال العقلي » (٥٩) . انها ممكن ان تفسر بمفهوم يوتوبيا عند مانهايم باعتبار انها انطلاق لبلوغ افكار وقيم جديدة قد تبدو مستحيلة التحقيق في حدود الوضع الاني للنظام السائد . لهذا فهي «تطلع » أحد المفكرين ، والمقصود هنا أديباً أو فناناً .

لنوضح ذلك : من غير الدخول في التفاصيل نكتفي بالاشارة إلى شرح كارل مانهايم للفظ الايديولوجيا . « ... ان اللفظ يطلق بمعنيين : احدهما مذموم والاخر مقبول . فالمعنى المذموم تكون الايديولوجيا فيه هي آراء

(٥٧) قصة مترجمة «ليلة الهبات» منشورة في جريدة الثورة ، ١٩٨٧/١٢/٢٠ ، ص ٥ .
(٥٨) مقالة مترجمة لرولان بارث «النشاط البنيوي» ، منشورة في جريدة الجمهورية ، ١٩٨٧/٩/١ ، ص ٣ .
(٥٩) مانهايم (كارل) ، الايديولوجية والطوبائية ، ترجمة د. عبدالجليل الطاهر ، بغداد ، مطبعة الارشاد ، ١٩٦٨ . ص ٣٩٥ .

الخصم الظاهرية ، التي تخفي الطبيعة الحقيقية لموقفه ، والي ليس من صالح ذلك الخصم الكشف عنها. وبالمعنى المقبول يقال ان ايديولوجيا عصر أو طبقة ما هي الاخصائص الذهن وتركيبه في ذلك العصر أو تلك الطبقة »(٦٠) لكن في وقت لاحق يعكس مانهايم مفهومين من الشرح السابق . الأول مفهوم الايديولوجيا التي هي تلك المركبات من الأفكار والاراء التي توجه النشاط العقلي والنفسي نحو المحافظة على نظام القائ . (أما الثاني فهو) يوتوبيا تلك المركبات من الأفكار والاراء التي تميل لخلق وتوليد نشاطات عقلية ونفسية تؤدي إلى تغيير النظام القائم » (٦١) . وهكذا تسمو يوتوبيا وتتفوق على الوضعية الاجتماعية ، فهي ايضاً توجه السلوك نحو عناصر لا تتوافر في الوضعية التي تم انجازها وتحقيقها في تلك الاونة لكنها ليست ايديولوجيا بمقدار ما تنهج بنشاطها المعاكس في تغييروتحويل الواقع التاريخي القائم إلى واقع اخر يكون أكثر تطابقاً مع مفاهيمها الخاصة » (٦٢) .بقي ان نبين أخيرا ما يعنيه مانهايم بلفظة « التطلع » ، انه « الاسلوب الكلي الذي تدرك الذات الاشياء والمواضيع كما هي مقررة ومصممة بتركيبها الاجتماعي والتاريخي » (٦٣) . وهذا يؤدي إلى طرح سؤال حول متى واين تبدأ الابنية الاجتماعية تعبر عن نفسها في بناء الاقوال والعبارات الايجابية ، وفي أي معنى يقرر البناء الاجتماعي الأسبق ويؤثر في البناء الاجتماعي اللاحق»(٦٤).

وحين نقول سياسة ثقافية اعلامية فاننا ندلل عن حس توجيهي معد سابقاً ، بغض النظر عن الاهداف المقصودة . ومع ذلك فان هذا لا يمنع من ان تحقق هذه السياسة أهدافها الايديولوجية باستعانتها بالادب والفن عن طريق وسائل الاتصال الجماهيري وثقافتها الجماهيرية . من هذا المنطلق

(٦٠) ايكن (هنري د.) ، عصر الايديولوجية ، ترجمة د.فؤاد زكريا ، القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٦٣ ، سلسلة الالف كتاب رقم (٤٧٩) ، ص ٧ ..

(٦١) مانهايم ، المصدر السابق ، ص٤٤ .

(٦٢) المصدر نفسه ، ص ٣٠٣ .

(٦٣) المصدر نفسه ، ص ٩٢ - ٩٣ .

(٦٤) المصدر نفسه ، ص ٣٩٢ .

تستطيع الايديولوجا ان تحقق اهدافها بشأن انسجام فكري عام وظاهري في المجتمع (*). فتحول الثقافة أو جزء كبير منها إلى ثقافة جماهيرية يعود إلى التقدم التكنولوجي في وسائل الاتصال الجماهيري . هذا التقدم نقل (ثقافة النخبة) من الاطار المحصور بالمثقف التقليدي إلى اطار واسع مفتوح يمس الجماهير كافة في المجتمع . لكنه بهذا النقل غير طبيعة الثقافة فأخضعها لمتطلبات التكنولوجيا الاتصالية الجديدة . لتوضيح ذلك سنعرض تباعاً الثقافتين كيما تظهر خصوصية كل منهما .

ان ثقافة النخبة تقوم على اسس انسانية حسب مفهوم عصر التنوير ، فهي تدعي العالمية في قواعدها وبأنها تعكس حقيقة الوجود واتساعه من جهة ، والمعرفة المفتوحة ضد الاوهام العامة من جهة اخرى. وتهدف في نهاية المطاف إلى خلق نماذج مشرقة مركزها الانسان والكون فهي مثالية في نزوعها نحو قيم فاضلة (٦٥) . وهذه الثقافة بحكم تراثها التاريخي كانت محصورة في فئة محدودة من المثقفين واتباعهم . وقد اعتمدت على وسائل اتصال متواضعة اهمها المطبعة في بداياتها . لكن مع تطور الطبعة واستخدامها واسع خلال القرن التاسع عشر في اوربا الغربية خصوصاً وما تبعها من تقدم تكنولوجي في الراديو والتلفزيون خلال القرن الحالي قد ادى إلى تحول هذه الثقافة من حدودها الخاصة إلى فضاء اوسع بسبب طبيعة تلك الوسائل التكنولوجية .

وهكذا ، منذ النصف الثاني من القرن الحالي خاصة تجسدت ثقافة من طراز اخر جنباً إلى جنب مع (ثقافة النخبة) باسم الثقافة الجماهيرية (Culture de mass) هذه الثقافة الجماهيرية تتميز بالملامح الآتية : انها تعتمد على اسس تبسيطية في تطلعها الانساني والتاريخي وهي وان عكست الوجود الا ان ذلك يكون اساساً من خلال الخيالي . فهي تسعى لاجتذاب الجمهور اولاً بارضاء الجوانب

(*) كما نعرف ، ان الصحافة من اقدم وسائل الاتصال الجماهيري وقد بلغت من القوة درجة دعت ادموند بورك (Edmund Burke) يطلق عليها : السلطة الرابعة منذ اكثر من قرن ونصف .

(65) MORIN, Lesprit..., vol.2, op. cit, pp 122, 131.

الانفعالية لديه . من ناحية اخرى ، المعرفة التي تتضمنها رسائلها جمعت بصورة فسيفسائية تعتمد على اعلام منظم في اطار بنائي محدد فهي تسعى لتشكيل قوالب او نماذج تمس الحياة الخاصة والعامة من خلال تعميم المفاهيم الحديثة وبالتالي تكييف سلوك الجمهور لخدمة اغراض مختلفة (٦٦) .

برغم هذا الاختلاف الواضح في طبيعة كلتا الثقافتين ، فان وسائل الاعلام الجماهيري تحتاج إلى الجديد المبتكر والمبدع في رسائلها إلى الجمهور وهذا الجديد المبتكر لا يأتي الا من (النخبة المثقفة) باعتبار ان انتاج هذه الوسائل هو انتاج ثقافي وعليه ستضطر إلى الاستعانة به بتطويعه برغم محافظتها على هدفها الاساس : تكرار الشيء نفسه بصيغ واشكال مختلفة بهدف الوصول إلى توحيد المجتمع في نمطية مطلقة المعايير (٦٧) . مع ذلك فإن تأثير الثقافة على الانسان يظل واضحاً في كلا الثقافتين ، وان كان هذا التأثير يحقق الاهداف بصورة افضل مع الثقافة الجماهيرية . ويمكن اظهار ذلك من خلال قصة خورخة لويس بورخس السابق ذكرها . لكننا نلفت الانتباه إلى ان اختيار هذه القصة لا يعني علاقتها بالتحليل اذ المقصود ارجاعها لمصدرها فقط وعلى سبيل المثال لا غير . فالنتيجة التي سنتوصل اليها لن تتغير فيما لو اخذنا نموذجاً آخر لتحليل التأثير سواء أكان قصة او شعر او لوحة فنية ... الخ .

ان وظائف الثقافة الاعلامية مرتبطة بكلية الحاجات المادية والمعنوية (الروحية) للافراد (٦٨) . لهذا فإن تأثير هذه القصة على القارىء سيكون مباشراً او غير مباشر مثله مثل اي نموذج آخر (٦٩) . وعليه لن نجاً لتحقيق مضمونها لان استخدامنا لها يهدف مستوى تحليل التأثير لاية قصة اخرى . وهكذا فإن تأثير القصة على القارىء ، مباشراً او غير مباشر سيمس احاسيس ومشاعر

(66) Ibid.
(67) MORIN, "Nouveaux..., op. cit., p. 25.
(68) MACBRID, op. cit., p. 18.
(٦٩) جريدة الثورة ، المصدر السابق .

شخصية بحتة . وهي بهذا الاطار لاتمت بصلة إلى التعبئة المطلوبة . وهنا يكمن مصدر قوتها في كونها غير صريحة وغير موجهة . ورغم ان التأثير قد يكون بطيئاً او سريعاً ، شديداً او ضعيفاً فإنه سيكون بعمق وصمت في نفس القارىء مما سيكون لديه انطباعات : الاول هو الشعور بالمتعة التي يسببهافن القصة ، وهي متعة تخفف لديه جزءاً من التوتر الناجم عن الواقع العنيف بسبب الحرب آخذين بنظر الاعتبار ان مصادر التوتر الجسدي والنفسي مختلفة ومتعددة ، ومصدر الحرب هنا ليس سوى احدها.وهكذا تؤدي هذه المتعة إلى الاسترخاء النفسي الاني والضروري لآلية التوازن الشخصي. وقد تطول مدة الاسترخاء او تقصر لكنها في كل الاحوال مع المؤثرات الاخرى ، تريح النفس وتجدد توازنها وحيويتها . فبهذا القدر تجعل الانسان ـ ا واطن مهيأ لخوض الظروف القاسية ومحاربة اسبابها . إذ ان نموذج القصة المذكورة يجب ان يؤخذ في تأثيره على القارىء ضمن مؤثرات وعوامل اخرى . والواقع ان دور الادب والفن مهم ، لانه احد الجوانب العديدة الضرورية لحفظ الحياة الاجتماعية وهو امر معروف في الحضارات الانسانية .

اما الانطباع الآخر ، فهو الذي يولده الشعور باكتساب خبرة حياتية غير معروفة للقارىء سواء اكان مضمون القصة خيالياً ام واقعياً . وهذا الانطباع سيغني خبراته الشخصية عن طريق التقمص او الاعجاب وتقليد ابطال القصة(٧٠) من جانب اخر ستوسع افق افكاره وتضيف اليه قدرات معنوية ثم مادة تلتحم مع قدرات معنوية اخرى ولدتها مؤثرات مختلفة تراكمت في فكره ونفسه منذ زمن بعيد او قريب . والسؤال الان هو الاتي : أية اهداف ستخدم هذه التأثيرات .

للاجابة عن السؤال الثالث المطروح في بداية موضوع السمات ، علينا قبل كل شيء ان نوضح المقصود بالهدف أو الأهداف التعبوية في اطار ه ا

(70) CHOMBART DE LAUWE (Marie-Jose) et DELLAN (claude), "La socialis- s. ation de L'enfants par Les medias",Problemes politiques et sociaux articles et documents d'actualites mondiale, no (358), 16 mars 1979 paris La Documentation Francaise, pp. 25-28.

البحث . وفي الأساس ان مفهوم التعبئة عبر وسائل لاتصال الجماهيـــري متضمن في رسائلها تلقائياً غض النظر عن الظروف الطارئة كالحرب مثلاً . ومن ناحية أخرى ان هذه الوسائل مثل غيرها تقوم بدورها الاجتماعـــي المطلوب الذي سيؤثر سلباً أو ايجاباً في المجالات الأخرى. انها أساساً تعضد القيم والمثل العليا السائدة في المجتمع وتروجها بهدف المحافظة على الترابـط الاجتماعي بين أفراده ومجموعاته من جهة، وبينه وبين نظامه السياسي القائم من جهة أخرى (٧١) . من جانبه يقوم النظام السياسي بدوره عن طريقهـــا بترويج ونشر الايديولوجية الخاصة به لتقوية الترابط بينه وبين المجتمـــع . وهذه المهمة معقدة ومتشابكة لأنها تمس تغيير المجتمع وثقافته ومن بعـــد « تتصل بعقول الناس وموروث عاداتهم وتقاليدهم ، وتأثير القوى المضادة والمعادية »(٧٢). لهذا أصبح جهاز الاعلام ودوره بفضل امكاناته التكنولوجية من ناحية، وصلته اليومية المباشرة بحياة المواطنين وأجهزة الدولة كافـــة وسياسة الحزب من ناحية أخرى انجح وسيلة لنشر افكار الحزب وبرامـــج الثورة ، ثم الوصول إلى ذلك الترابط والالتحام ما بين المجتمع ونظامـــه السياسي (٧٣) . وهنا تفيد الاشارة إلى مقولة هامة للسيد الرئيس القائد فـــي حديثه عن أطفال العراق في مجال توظيف الاعلام لخلق « فكر متجانـس لدى الجماهير »حيث قال « اصبحنا كلهم يأخذون الحياة الجديدة ويطلون عليها في قناة واحدة ... بقي الفروقات البشرية فقط : نوع العائلة ، عـــمل الأب ، عمـل الأم ، لكن الراديـو مشترك والتلفزيـون مشترك والحزب مشترك » (٧٤) .وهكذا يحصن المواطن ضد الاعلام المضاد وآثاره الـــتي تستهدف زعزعة تماسك شخصيته وفك ارتباطه بوطنه وأمته (٧٥) .

(71) PERCHERON (Annick), "Lasocialisation Politique de L enfant", Problemes politiques et sociaux, Ibis,. PP. 28–29.

(٧٢) التقرير المركزي للمؤتمر القطري التاسع ، المصدر السابق ، ص ١٥٦ .

(٧٣) المصدر نفسه .

(٧٤) الدوري (عوض محمد) وعودة (سليم عزيز) ، المرأة في احاديث الرئيس القائد صدام حسين من عام ٦٨ – ١٩٨٣ ،الاتحاد العام لنساء العراق ، امانة الاعلام والعلاقات العامة ، ١٩٨٥ ، ص ٩٧ .

(٧٥) التقرير المركزي للمؤتمر القطري التاسع ، المصدر السابق ، ص ١٥٧ .

من هذا المنطلق ستكون التعبئة الجماهيرية من الامور (الاعتيادية) في الانتاج الثقافي الاعلامي وليست بالضرورة مرتبطة بالظروف الطارئة العصيبة مثل الحرب أو الكوارث الطبيعية . صحيح انها في مثل هذه الظروف ستأخذ اتجاهاً أكثر جذرية من حيث الشكل والمضمون في التعبير عن وظيفتها المستجدة ، لكن الفرق سيكون بالدرجة وليس بالطبيعة. وبتعبير آخر «يمكن (للتعبئة) ان تكون جزئية أو شاملة ، والتعبئة الجزئية تعني تلك الاجراءات الخفية التي تتخذ في بعض المجالات المهمة ذات المساس المباشر بقرارات الدولة السياسية الخاصة في المرافق الاقتصادية والاستهلاكية والعمرانية . في حين تعني التعبئة الشاملة ، تهيئة التدابير اللازمة كافة في المجالات الاقتصادية والبشرية — باعتبارها جهداً استثنائياً — والاجتماعية والنفسية واعدادها كلياً للحرب وفي نفس الوقت المحافظة على مسيرة البناء الداخلية في العمل والانتاج » (٧٦) .

في الواقع ، ما المقصود بالطابع التعبوي في «الصفحة الثقافية » ؟

إن الاجابة ليست يسيرة كما يبدو اول وهلة سيما وانها احتوت مواضيع تعبوية صريحة . لنحدد اولا ان اهتمامنا انصب بالاساس على الطابع التعبوي الضمني لان الكتابة عنه قليلة او هامشية بالقياس إلى المواضيع التعبوية الصريحة. وثانياً لانها من منظور التعبئة الجماهيرية والحرب النفسية تبدو غير اساس او ناتجاً عرضياً لها. وهذا التحديد يعني ان نشر قصة خورخة لويس بورخس التي لا يمت موضوعها بأي صلة إلى الحرب او ترجمة مقالة طويلة لرولان بارث حول «النشاط البنيوي» التي في كل الاحوال مضمون متخصص في النقد الادبي ، نقول ان التحديد المشار اليه آنفاً يعني ان الادب والفن لم يفقدا مكانهما امام ادب وفن الحرب ، بل ربما ازدادا اهمية في نظر القراء حيث توسعت رقعة قراء هذه المواضيع من المثقفين المتخصصين إلى الجمهور الواسع الكبير . من هنا يظهر ان قراءة الانتاج الثقافي العراقي المنشور في «الصفحة الثقافية» سيكشف تنوعاً مدهشاً من ثقافة الحرب وثقافة السلم . ويلاحظ ان

(٧٦) العبيدي ، وسائل الاتصال ، المصدر السابق ، ص ١٦٩ — ١٧٠ .

ثمة ابداعات ادبية او فنية تنعكس في هذا الانتاج بحيث تختلط صور السلام في صور الحرب لتشكل لوحات مبتكرة في الشكل والمضمون . من ناحية اخرى قد يجد القارىء انتاجات ثقافية لا تمس موضوعات الحرب اطلاقاً لكن ما تعرضه يتضمن اخلاقيات وقيم ايجابية تخدم بصورة غير مباشرة قضية الحرب (٧٧) .

يتضح مما تقدم ان التعبئة الجماهيرية عن طريق وسائل الاتصال الجماهيري اصبحت من الامور المألوفة في دول العالم كافة . وفي العراق ظلت اهداف هذه الوسائل مركزة على ترسيخ البناء المادي والمعنوي برغم ظروف الحرب التي اضافت اهدافاً تعبوية اخرى تلبي حاجات الجماهير المعنوية لمجابهة واقع الحرب .

لو القينا نظرة اخيرة على لوحة القيم المعيارية في نهاية القسم الاول لتبين لنا أن الاهداف — الوسائل في حقل القيم المعيارية الثانوية حددت عناصر اساسية تخدم تقدم الجماهير في ميدان البناء في نفس الوقت الذي تخدمهم في ميدان الحرب . اي انها معايير مزدوجة ذات تأثير ثنائي تتخلل الثقافة الاعلامية من خلال «الصفحة الثقافية» لتؤثر على اعادة تشكيل او تكوين المقومات المرتبطة بالشخصية في اغلبها او بعضها حيث ينعكس على سلوكها . اي بتعبير آخر تغير المفاهيم القديمة بخلق مفاهيم جديدة للفرد والمجتمع . هذا ما سعت اليه السياسة الثقافية الاعلامية خلال السبعينات وسنوات الحرب على حد سواء لتسهم في محصلتها النهائية في بلوغ اهداف السياسة العامة للدولة .

الخاتمة :

تساءلنا في بداية هذه المحاولة عن كيفية تطبيق « الصفحة الثقافية » للقيم المعيارية التي حددتها السياسة الثقافية الاعلامية ، وكيف استطاعت الاداب والفنون من خلال هذه الصفحة ان تنهض بدور بارز تجاوز متطلبات ثقافة واعلام الحرب نحو افاق جديدة ليست لها صلة مباشرة بتلك المتطلبات . هل

(٧٧) اللامي ، المصدر السابق ، ص ٣ . انظر ايضاً : حوار ماجد السامرائي مع السيد لطيف نصيف جاسم ، المصدر السابق ، ص ٥١ . كذلك اذهام محمد حنش ، المصدر السابق . ص ٤ .

استطعنا الاجابة؟لن نجزم بالايجاب لكننا حاولنا على الاقل الكشف عن بعض عناصر الاجابة ، ولربما وفقنا في ذلك (٧٨) .

يقول السيد الرئيس القائد صدام حسين (حفظه الله ورعاه) «فاذا اذكر امامكم وامام العراقيين للرفيق وزير الاعلام هذا الدور (دور الاعلام خلال الحرب) بدون توجيه يعني انا لم اوجهه ولم اقل له كيف يتصرف . لكنه تصرف بعد معركة المحمرة مثلما اتمنى من تصرف اعلامي يعيد المعنويات للشعب» (٧٩) .

يبدو لنا ان نجاح السياسة الثقافية الاعلامية يتحدد اساساً في الامكانات التي اتيحت للمؤسسات الثقافية كيما تفسح المجال لبروز اكبر عدد ممكن من الابداعات الادبية والفنية .صحيح ، لقد حققت اهدافها في اسناد معنويات المواطنين ، لكن ذلك قد تحقق على مستوى آخر ،من هنا نستطيع استخلاص بعض النتائج :—

١ — ما بين البيان الاول (بداية الحرب) وبيان البيانات (نهاية الحرب) ، تطورت الصحافة مع وسائل الثقافة والاعلام كافة تطوراً جسيماً في الشكل والمضمون ، وهذا نابع من تحسن وتطور ادائها الوظيفي على مستوى العنصر الانساني والعنصر التكنولوجي.ومن جهة اخرى اعتمد هذا التطور على تشجيع وتكريس القيادة كل الامكانيات اللازمة مادياً ومعنوياً لدعم هذا القطاع .

٢ — استطاعت الثقافة الاعلامية عموماً ومن خلال « الصفحة الثقافية» خصوصاً ان ترفد القراء بالمواضيع التي اتسمت ، من حيث آثارها في معنويات القراء في الجبهات كافة ، بالتوعية والتثقيف. وهكذا اسهمت في اغناء جزء مهم من الشخصية وسلوكها وتوسيع مداركها ، وبالتالي تهيئة انسان عراقي قادر على مجابهة قوى العدوان في حرب طويلة

(٧٨) العبيدي (د. جبار) ، «التوجيهات الاعلامية والعام الثامن من المعركة» ، القادسية . ، ١٩٨٧/١٠/٥ ، ص ٣ .

(٧٩) من حديث الرئيس القائد خلال مراسيم تقليد وسام الرافدين للسيد وزير الثقافة والاعلام وانواط الشجاعة لعدد من المقاتلين ، جريدة الجمهورية ، ١٩٨٦/٦/٢٩ .

الأمد ، كما هو قادر في الوقت نفسه ان يجابه قوى التخلف بمختلف اشكالها بالارادة والتصميم على البناء مادياً ومعنوياً .

٣ ــ استطاعت « الصفحة الثقافية » ان تستوعب التجارب الأدبية والفنية الجديدة وشجعتها دون اشتراط الأسماء المعروفة ، وبهذا كشفت عن امكانات عدة في ادباء وفنانين جدد . وهكذا ، بصورة مباشرة أو غير مباشرة ، اغنت الأدب والفن بانماط مبتكرة من التعبير الأدبي والفني بمواضيع استلهمت تجربة الحرب أو انعكاساتها .

٤ ــ مع كل التحفظ بالنسبة إلى انتاج « الصفحة الثقافية » باعتباره « ثقافة جماهيرية » إلا ان ذلك لم يمنع من بلورة نوع من التنافس الفكري في الأدب والفن ، وخلق نمط من الحوار والنقاش والنقد ، كان له تأثير على (ثقافة النخبة) المنشورة في الدوريات المتخصصة أو الكتب . ذلك ان عدداً كبيراً من المفاهيم والنظريات (الجديدة) على الثقافة الاعلامية قد أخذت طريقها إلى الجمهور الواسع بسبب السياسة الثقافية الاعلامية خلال فترة الحرب .

نختم بحثنا هذا بقول السيد الرئيس القائد : « اننا نقول لكل العاملين في الثقافة والاعلام بأن دوركم كان متميزاً في هذه المعركة المقدسة والشريفة دفاعاً عن العراق العظيم » (٨٠) .

(٨٠) من حديث الرئيس القائد مخاطباً وزارة الثقافة والاعلام ، جريدة الثورة ، ١٩٨٧/٦/٢٩ .